مفاد
مركز فاطمة الفهرية
للأبحاث والدراسات
إصدارات مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد) - سلسلة كتب إلكترونية: 1

وأقم الصلاة لذكري





د.عبد الصمد الرضى

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد،

فهذا كتاب تدبري لشعيرة الصلاة، عمادِ الدين، يروم تحقيق عدة أهداف تربوية تعليمية تدبُّرية لهذا الركن العظيم:

1ـ بيان ارتباط هذه الشعيرة بوجود الإنسان على هذه الأرض، منذ

التوبة الأولى لأبينا آدم عليه السلام.

2ـ تتبع أعمال الصلاة، وتدبرها بما يساعد على الحضور القلبي أثناء أدائها.

3ـ إيقاظ أهميتها في القلوب رجاء أن نُعيد إبرام عروتها، في اتجاه إعادة إبرام باقي عرى الإسلام التي انتقضت.

4ـ عقد الرجاء أن تكون محل تذكُّر مذاكرة بين يدي القارئ الكريم، تنفعه في نفسه وعائلته، وسائر محيطه.

عبد الصمد بن محمد الرضى

البيضاء 27 رجب1441 هـ

الموافق22 مارس 2020م

مواكب المصلين

سجَّل فجر الوجود المشهد الأزلي لبدء التكريم والاصطفاء، مشهد السجود الملائكي للمخلوق من طين في أحسن تقويم، المنطوي على نفخة روحية ربانية طاهرة، والدنا الأول آدم عليه السلام.

حاز والدنا الكبير شرف التكريم عند الله تعالى، إذ خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأَسْجَدَ له ملائكته (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) (الكهف50).

فاز أبونا عليه السلام بحسن الإقامة مع زوجه أمنا حواء في الجنة حيث الرغد والمدد، حيث العطاء والمزيد، رب كريم، وزوج مصون، ومقام مكين، ذاك هو العطاء المبين، قال الحق سبحانه:(**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**) (البقرة35).

انبثق فجر الزمان عن قبول التوبة بعد الزلة، زلة الأكل من الشجرة المحرمة، وتوبة المولى الرحيم، توبة أولها المَنّ الرباني بإلهام كلماتها، يقول سبحانه:(**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ**

الرَّحِيمُ) (البقرة37).

والدنا الأول آدم عليه السلام لما ألح بالدعاء والصلاة بما علمه المولى الكريم، هو وزوجُه، الأم الحنون، أن يقبل التوبة ويعفو عن الزلة، تبسمت له آمال الانعتاق من أسر الذنوب، وقيود الهبوط، فانطلق لسانهما بالكلمات الربانية بكل خشوع وخضوع، قال جل وعلا **(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** الأعراف23

آمال الانعتاق من أسر الذنوب اقتضت زيادة من الكريم الوهاب، الذي كلما تقرب إليه العبد شبرا، تقرب إليه

ذراعا تكرما منه وتفضلا. فكان التشريف بناء أول مسجد يُصلى فيه ويُتعبد فيه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: « المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». قلت: ثم أي ؟ قال: ثم حيث أدركت الصلاة فصلِّ، فكلها مسجد 1»

انبثق فجر الزمان عن الانطلاقة

1- صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء،باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ورواه مسلم بنحوه، وينظر تفسير قوله تعالى(إن أول بيت وضع للناس..) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

الأولى لمواكب المصلين بأوبة والدينا الكريمين إلى الله تعالى، وبقبول المولى منهما والرضى عنهما، ثم كانت منهما الحسنة الجارية الدائمة بناء المسجد الأول للصلاة لتنطلق مواكب المصلين عبر الزمان إلى البعثة العظمى، بعثة أشرف المخلوقين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتعم بركة البناء الأول فتصير الأرض كلها مسجدا وطهورا تفرح لسجود المواكب الطائعة الراكعة، مواكب المنعم عليهم، مواكب المصلين.

الصلاة بالنسبة للمواكب النورانية هدية ربانية، ومسؤولية بشرية، من أهم

وظائف النبوة إقامتها والدعوة إليها، والتوصية بها، يورثها السابقون للاحقين وبها يوصون، يدعون في خلواتهم وجلواتهم ببقائها في الزمن، ولذلك يسعون.

هذا نبي الله تعالى سيدنا ابراهيم عليه السلام يرفع القواعد التي اندرَست من أول مكان يصلَّى فيه، وهو يتضرع للمولى الكريم أن يجعل من ذريته من يحافظ على الصلاة يبقيها في الدنيا قائمة (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**) ابراهيم 39-40

وها هو سيدنا موسى عليه السلام

يتلقى الخطاب الرباني بإقامة الصلاة

إحياء لذكر المولى المجيد (**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**)

طه 14

وهذا الميثاق المأخوذ على بني

إسرائيل يعلن إقامة الصلاة بندا هاما من

بنوده، (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**).

البقرة 83

قص علينا الله تعالى قصصهم في

القرآن الكريم، سيدنا إدريس، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وإبراهيم، وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وأيوب، وذا الكفل ويونس، وموسى بن عمران، وهارون، وإلياس، واليسع، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيي، وعيسى بن مريم، عليهم سلام الله جميعا.

ومن غيرهم كثير لم يقصص علينا خبرهم، مدحهم سبحانه وتعالى: (أُولَـٰئِكَ **الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ**

عَلَيۡهِمۡ آيَاتُ الرَّحۡمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) مريم 58.

ومن ضيع هذه الأمانة العطِية، المسؤولية الهدية، فقد محا اسمه من لائحة المواكب النورانية، مواكب المصلين، قال تعالى:(فَخَلَفَ مِن بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا) مريم 59.

ولقد ربط الله تعالى بين المبشرات العظيمة وبين الصلاة في كثير من القصص.

مريم العذراء الطاهرة العفيفة

عنوان شرف النساء في القرآن الكريم، أوتيت الرزق الوفير، وهي في محراب الصلاة تناجي ربها الوهاب، قال جل شأنه:(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)آل عمران 37.

استثمر النبي زكريا عليه السلام الحال الرباني ليتضرع للمولى الوهاب راجيا الذرية الطيبة فكانت البِشَارة في المحراب، قال تعالى:(فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي

فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) آل عمران 39.

توارثت مواكب المصلين هذه العطية الهدية جيلا بعد جيل، رجالا ونساء، فرادى وجماعات، منهم من بنى مساجد ومصليات، ومنهم من أعلن صلاته، ومنهم من أخفاها، كلٌّ وما تيسر الله.

والأرض على ذلك شاهدة والسماء، والمولى الكريم لا يضيع أجر المحسنين، حتى جاء الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، ليعلن الأرض مسجدا

وطهورا، ولتصبح الشعيرة العظيمة محتضنة من الأصل الذي جاء منهم المصلون، تبكي لانقطاع صلاتهم فوقها هي والسماء، وتفرح بهم حين الرجوع إليها فتضمهم ضم الأم الحنون لوليدها كما السماء تفرح بصعود أعمالهم الطيبة (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) فاطر10، ولا تبكي لا هي ولا السماء على غير المصلين:(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) الدخان29.

كل ذلك ولمَّا تفرض الصلوات الخمس على الهيئة المعروفة1 بعدُ. إنما

1- قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: «ذَهَبَ جَمَاعَة إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبل الإِسْرَاء صَلاة مَفْرُوضَة إِلاَّ مَا كَانَ وَقَعَ الأَمْر بِهِ مِنْ صَلاة اللَّيْل مِنْ غَيْر تَحْدِيد، وَذَهَبَ الْحَرْبِيُّ إِلَى أَنَّ

كانت الصلوات الخمس على ما هي عليه اليومَ بعد الإسراء والمعراج، فسبحان الذي أسرى بعبده، وصلى الله وسلم على من ناداه مولاه: (**كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب**) العلق19.

الصَّلاة كَانَتْ مَفْرُوضَة رَكْعَتَيْنِ بِالْغَدَاةِ وَرَكْعَتَيْنِ بِالْعَشِيِّ، وَذَكَرَ الشَّافِعِيّ عَنْ بَعْض أَهْل الْعِلْم أَنَّ صَلاة اللَّيْل كَانَتْ مَفْرُوضَة ثُمَّ نُسِخَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى» (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)، فَصَارَ الْفَرْض قِيَام بَعْض اللَّيْل، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْس» ج2 ص45

واسجد واقترب

اشتدت وطأة حصار المشركين من قريش على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، أبدانهم هزلت ووهنت، ومواجهتهم للظلم عظمت، وحماية أبي طالب للنبي الكريم بموته غابت، وزوجه الوفية إلى الآخرة قد انتقلت، وأمانة الدعوة والتبليغ تنادي (يا أيها **المدثر . قم فأنذر**) سورة المدثر الآية 1 و2.

ففي شوال سنة عشر من النبوة1 خرج عليه الصلاة والسلام إلى الطائف2

1- في أواخر مايو أو أوائل يونيو سنة 619 م.

2- منطقة تبعد عن مكة نحو ستين ميلًا.

سارها ماشيًا على قدميه جيئة وذهابًا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة تعهدهم برحمته المعهودة، ورأفته الممدودة، ورأى ما هم فيه من ضلال وتيه، وغفلة عن المآل والمصير، يدعوهم إلى هدي الإسلام، ونور الإيمان، لكن لم يجد منهم إلا الجفاء والصدود...

انتهى المسير بالمبعوث رحمةً للعالمين إلى الطائف، وكله أملٌ أن يجد منهم سندا، ورجاءٌ أن ينبعث منهم للحق عونا ومددا، فعمِد إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف1، وجلس إليهم ودعاهم إلى الله جل وعلا،

1- وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي.

لكن كانت أجوبتهم كالصاعقة المفاجئة على قلب محب منقذ رؤوف رحيم.

تعهد أولهم أن يَمْرُط (يمزق) ثوب الكعبة إن كان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم.

وقال الآخر: أما وَجَدَ الله أحدًا غيرك.

وخاطبه الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولًا لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك.

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه...

تلك، لعمري، همَّة الداعية أنَّى كان، رجاؤُه، لا حدود له، أن ينقذ اللّٰه به قوما ضالِّين من النار، لكن لسان مقالهم الجارح يردد: أُخرِج من أرضنا!! وأغروا به سفهاءَهم وعبيدَهم، يسُبونه ويصِيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له سِمَاطَيْن (أي صفين) وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السَّفه، ورجموا عرقوبيه (أواخر قدميه الشريفتين)، حتى اختضب نعلاه بالدماء. وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه إلى أن أصابته شِجَاج

(جراح)في رأسه.

يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما!

القدم الشريف تُدمي، والصاحب الوَفيُّ يحمي، ويد الظلم ألجأت سيد العالمين إلى حائط (بستان) لعتبة وشيبة ابني ربيعة فرجعوا عنه، وجلس الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى ظل حُبْلَة يلملم الجراح، يضرع إلى المولى بالدعاء المشهور: «اللهم إليك أشكو ضَعْف قُوَّتِي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكِلُني !؟ إلى بعيد يَتَجَهَّمُنِي !؟ أم إلى عدو ملكته أمري !؟ إن لم يكن بك

عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سَخَطُك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

إنه قلب سيّدِ الدعاة وأسوتِهم، هدايةُ الناس تحتاج إلى قلبٍ كبيرٍ، وصدرٍ رحيم، يدفع بالتي هي أحسن، ويرجو حسن المآل للجميع إلا من أبى. لا يعرف اليأسُ إلى قلبه سبيلا، ولا يجد المللُ إلى حركته مسلكا، يقينُه لا يتزعزعُ، وصدقه لا ينخرم.

...ويفتح الله قلب النصراني؛
عداس لنور الحق بعد أن سمع الله يذكر
قبل الأكل من في الرسول الكريم صلى
الله عليه وسلم: «إن هذا الكلام ما يقوله
أهل هذه البلاد» فقال له صلى الله عليه
وسلم: «من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟
قال: أنا نصراني من أهل نِينَوَى. فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية
الرجل الصالح يونس بن مَتَّى». قال له:
وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك أخي، كان
نبيًا وأنا نبي»، فأكَبَّ عداسُ على رأس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويديه

ورجليه يقبلها...

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيباً محزونًا كسير القلب، صابرا محتسبا، يرجو للناس الفلاح، ويعاملونه بالقسوة والجفاء، فلما بلغ «قرن المنازل» بعث الله إليه جبريل عليه السلام ومعه ملَك الجبال، يستأمره أن يطبق الأخشبين1 على أهل مكة، سألته عائشة رضي الله عنها ذات يوم: «هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟» قال عليه السلام:« لقيت من قومكِ ما لقيت، وكان أشد

1- جبلين قرب مكة

ما لقيت منهم يوم العقبة... فانطلقت، وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْنِ الثعالب، (وهو المسمى بقَرْنِ المنازل)، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال:» يا محمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1] ـ أي لفعلت قال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله

1- والأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قُبَيْس والذي يقابله، وهو قُعَيْقِعَان

عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا»1....

لكن المصطفى الرحيم توجه بالدعاء إلى رب السموات والأرض أن يُخرج من أصلابهم من يوحد الله تعالى ويعبده ولا يعبدُ سِواه... ذلك هو رجاءُ كل داعية قاصد ممتدٍّ في الزمان إلى يوم القيامة.

فكانت الرحلة العظيمة ليلة الإسراء والمعراج، وكأني بي العناية الرحموتية تقول: يا أيها النبي الكريم، إذا حاصرك قومُك وأنت تريد لهم الهداية، وقلاَك

1- رواه البخاري كتاب الجهاد والسير، ورواه مسلم أيضا.

أهلُك وأنت تريد لهم النجاة، فتعالى إلى السماوات العلى، لترى من آيات ربك الكبرى، ولتسمو في مقامات القرب العظيمة، فإنَّ هناك عطايا تنتظرك، وهي لمن تبعك ممن يشتغلون بدعوة الناس للخير مزايا ومطايا.

إنهم الدعاة الفعلة، إذا كَلُّوا لم يملوا، وإذا حزبتهم الهموم فزعوا إلى الصلاة، حيث المناجاة واستمداد العون من الباري، إنها الهدية الربانية منح المولى الكريم (**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**) سورة البقرة آية 44

إنها في الأداء خمسٌ وفي الثواب خمسون.

هي في الأداء خمس وفي الثواب خمسون

من سويْداء القلبِ النَّبوي الشريف، وبلسانه الصَّادق تصاعدت صلواتُ المناجاة إلى الربِّ الرحيم في شأن هذه الأمة، تضَرُّعات «أعوذ بنورِ وجهِك الذي أشرقَت له الظُّلمات، وصلُح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبَك، أويحِلَّ علي سَخَطُك».

وتعالت مناجاة: «لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

فكانت الرحمة الإلهية، والعناية

الربانية مجسدة في حادثة الإسراء، ليلة الضيافة الربانية.

ليلة تعلم الوضوء...

ليلة زيارة بيت المقدس...

ليلة إمامة الأنبياء عليهم السلام في الصلاة...

ليلة العروج إلى السماوات العلا...

ليلة الهدية الربانية للحبيب المصطفى ولأمته صلى الله عليه وسلم.

فيا أيها الدعاة المصلحون !

ويا أيها الشباب الطاهرون !

إذا تكاثرت عليكم الهُموم، وأثقلتْك مَهَمَّات الدعوة، وكِدت تستسلمون لليأس من استجابة الناس، فتذكروا الحبيب صلى الله عليه وسلم الذي أوذِيَ فصَبر، وظُلم فصابر، يرجو الرحمة لأمته، ويتحمل الأذى في سبيل الله، فتأتيكم البشارة والفرَجُ، إذ ما كان للمولى أن يكِل عباده الصَّادقين لأنفسهم، بل يرعاهم ويؤويهم، ويزيدهم من فضله. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ الزمر 35

فسبحانه الكريم، يسري بعبده المحبوب إلى السماوات العلى، ويُهديه، وهو في رحابها، الهَدية العظمى؛ الصلاة...

الصلاة عماد الدين.

«إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرُهم، فقال آخرهم: خُذوا خيرَهم، فكانت تلك اللَّيلةُ، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى ....، فلم يكلِّموه حتى احتملوه فوضَعُوه عند بئر زمزم، فتولاَّه منهم جبريل، فشَقَّ جبريل ما بين نحْره إلى لَبَّته حتى فرغ من صدْره وجوْفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفَه، ثم أتي بطَسْت من ذهب فيه توْر من ذهب، محشُوا إيماناً وحكمةً، فحشا به صدرَه ولغَاديده (يعني عروق

حلقه)، ثم أطبقه. ثم عرَج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا ؟ فقال: جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد. قالوا: وقد بُعث إليه؟ قال: نعَم. قالوا: مرحباً به وأهلا به، يستبشِر به أهلُ السماء لا يعلم أهلُ السَّماء بما يريد الله به في الأرض حتى يُعلِمهم.

ثم انطلق القلبُ الطاهر في معارج السماء إلى الهَدّية الكبرى له ولأمته صلى الله عليه وسلم

ووجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه، ورد

عليه آدم فقال: مرحبا وأهلا بابني، نِعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال: «ما هذان النهران يا جبريل؟ »قال: هذا النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر فقال: « ما هذا يا جبريل ؟ » قال: هذا الكوثر الذي خبأ لكَ ربُّك .

ثم عرج إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى: من هذا؟ قال: جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال: محمد. قالوا: وقد بعث إليه؟ قال:

نعم، قالوا: مرحبا وأهلا وسهلا... كل سماء فيها أنبياء قد سماهم، وفي السابعة بتفضيل كلام الله. فقال موسى: « رب لم أظن أن يرفع علي أحد »....

ثم علا به فوق ذلك، بما لا يعلمه إلا الله، عز وجل، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة. ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبَسه موسى فقال: «يا محمد، ماذا عهد إليك ربك؟» قال: «عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة»، قال:» إن

أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم» فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أنْ نعَم، إن شئت . فعلا به إلى الجبار تعالى، فقال وهو في مكانه: « يا رب، خفف عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا» فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبَسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات. ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: «يا محمد، والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا، فضعُفوا فتركوه، فأمتُك أضعف

أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا، فارجع فليخفف عنك ربك» «كلُ ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة فقال: «يا رب، إن أمتي ضعفاءُ أجسادُهم وقلوبُهم وأسماعُهم وأبدانُهم نخفّف عنا» فقال الجبَّار : «يا محمد، قال: «لبَّيك وسعديك»، قال: إنه لا يبَدَّل القولُ لدي، كما فرضْت عليك في أمّ الكتاب:» كل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك»، فرجع إلى موسى فقال: «كيف فعلت؟» فقال: «خففَ عنا، أعطانا بكل

حسنة عشر أمثالها» قال موسى: «قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتَركوه، فارجع إلى ربِّك فليخفف عنك أيضا»، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «يا موسى قد، والله، استحييت من ربِّي مما أختلف إليه» قال: «فاهبط باسم الله»، فاستيقظَ وهو في المسجِد الحرام»1.

ما حياة المومن إلا صلاة بعد صلاة، وبينهما سعي وصلاح وإصلاح، سعي في الأرض لعمارتها، وبين الناس لهدايتهم، حتى إذا نادى المنادي: «حي

1- عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة / صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله وكلم الله موسى تكليما.

على الصلاة، حي على الفلاح» عرجتَ من واقعك المحيط بك إلى حضرة القرب من المولى، وأنت تستحضر ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى، ثم استضَافه الكريم في حضرته، ثم تعود كما عاد صلى الله عليه وسلم، قويا أمينا داعيا سراجاً منيرا.

تتجددُ فيك الحياةُ الإيمانية، وتسمو بك الخصالُ النبوية، خصالُ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» لتعود تمشي في الناس بنُور من الصَّبر واليقين، فإذا صلاتُك منبع للخيرات، ومزرعةٌ للفضائل، ومرقاةٌ في مدارج الإيمان، ومعارجِ الإحسان، تنهلُ

من طُهورها وتلاوتها، وقيامِها وقُعودها، وركوعها وسجودها، صفاءً ونقاءً، ويقيناً وإقداماً، وقوةً وعزماً.

تتجدد فيك الحياة الإيمانيةُ وأنت على وعي عميقٍ، وإدراك وثيقٍ، أن إعادة إبرام عروة الصلاةِ مدخلٌ أساسٌ لإبرام عرا الإسلام من جديد «لتنقضن عرا الإسلام عروة عروة، كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم وآخرهن نقضا الصلاة»1

1- أخرجه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الكبير وابن حبان في صحيحه بإسناد جيد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار، برقم 21139. لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضا: الحكم، وآخرهن الصلاة

ولكم اشتاق الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤوف لإخوانه المتوضئين المصلين قائلا:

اشتقت لإخواني

اشتقت لإخواني

شوقٌ آتٍ من السابقين يحِن،
وشوقٌ منبعِثٌ من قلب الرحمة المهداة
صلى الله عليه وسلم ممتدٌّ في الزمان عبرَ
الماضي، ومستشرفٌ للمواكب المتطَهرة
الآتية إلى يوم القيامة.

«اشتقتُ لإخواني» نداء شوق
ومحبة، وحنين ومودَّةٍ، عبر قطراتِ
الوضوءِ الرقْراقِ على الجوارح تنتفضُ
طاهرةً ببرد اليقين، ونقاء طاهر كنقاء
الثوب الأبيض من الدنَس، وغسلٍ من
الخطايا بالماء والثلج والبرد.

«اشتقت لإخواني»... كلمات تنبعث من اللسان الطاهر، والقلب الرؤوف بالرحيم بالمؤمنين، في مشهد من مشاهد الصحبة والجماعة ثلاثيِّ الأبعاد، بُعدٌ موصول بمن انتقل إلى الدار الآخرة من جماعة المؤمنين، قضى نَحْبَه، وبُعد يُشرك الصحابة الأحياء في الشوق، وبُعدٌ يمتد للأجيال القادمة من أمة الرسول المشتاق صلى الله عليه وسلم.

ها هو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، الذي رجا المولى الكريم ألا يعذِّب قومَه فإنهم لا يعلمون، يتقدم نحو البقيعِ1

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال:» السلام عليكم دار

وهو مستحضِر شهداءَ المسلمين وموتاهم، يستحضِر نقلَتهم لعالم البرزخ.

ها هو ينظر للذين معَه ويلقي التحية والسلام كأنهم معه، لا يمنَع التواصلَ كونهم في غير دار الدنيا: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»

قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا :أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فقال أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة، بين ظهري خيل دُهم بُهمٍ ألا يعرف خيله ؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليُذَادنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلُم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: سحقا سحقا «رواه الإمام مسلم

ها هو يرسل الأشواق للذين يأتون بعده صلى الله عليه وسلم «وددت أنَّا قد رأينا إخواننا»

ها هم الأصحاب يتساءلون عن إخوانهم، فيخبرهم ببعض صفاتهم، بل بمُبتدإ صفاتهم ومُفتتَحها، الوضوءِ الذي ينقلب نوراً يوم القيامة في الأطراف، نورا به يتعرفون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وبه يعرفهم.

ها هو عليه الصلاة والسلام يبعث الأمل في القلُوب أن للقاءِ بالحبيب يوم القيامة أسبابٌ في هذه الدنيا، ومن أعظمها حسن الوضوءُ.

فيا شباب أمة يشتاق إليهم نبيُّها، أحسِنوا الوضوءَ والطُّهور، تكن في مرمى شوق الحبيب، تكن في ظلِّ المتحابِّين بجلاله يوم القيامة، حيث الحَرُّ والزِّحام، حيث يُنصَب للمتحَابين منابرُ من نور.....

يا أمة من يفرحُ بالمتطهرين والمتوضِّئين يتوافدون عليه في يوم السَّعادة العُظمى، يوم لُقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوزِ برضى الكريم الوهاب.

يا أمة الحبيب المشتاقِ، تعلَّمي الوضوء وأحسنيه، وأَدخلي في النية التطَهُّرَ من كل ذنب اقترفته: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من

وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب»[1]

أ رأيت! كيف الأعمال السهلة اليسيرة، مقدمة كل أعمال الإسلام والإيمان والإحسان، تحتاج منا النية العظيمة، نية التعرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، نية التطهر من الذنوب

1- صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء.

قبل الوقوف بين يدي الجليل في الصلاة، فمن أتقنَ وضوؤه، وأخلص نيتَه، ورفع همته، كانت صلاتُه مرقاةً في درجات القرب من المولى الكريم سبحانه، إن الله يحب التَّوابين، ويحبُّ المتطهرين، وهو صلى الله عليه وسلم يعلّمِنا أن نقُول بعد الوضُوء هذا الدعاء: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين».

الوضوء ! تلك العبادة اليسيرة التي يعَجّزِ عنها الشيطان، وتكسُل عنها النفس، هي المفتاحُ العملي القلبي الدائم لعطاء الله تعالى، لا يستطيعُ يرقَى في درجات الإيمان، ومراقي الإحسان، من لم يدخل

من باب الإسلام. وأولُ الإسلام طَهورٌ ونقاءُ، وغسلٌ وصفاءُ.

لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن، بل إن الوضوء مجلَبة لحُسن الختام إذا انقضَى الأجل، وسبب في الصون من المولى الكريم فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ،

وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ. قال: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: لَا، وَنَبِيِّكَ الذِي أَرْسَلْتَ»1

وفي الحديث: «مَنْ باتَ طَاهراً بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، فلاَ يسْتَيقظْ إلاَّ قالَ المَلَكُ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لعَبْدِكَ فُلان، فإنّهُ باتَ طاهراً»2.

إن الوضوء عنوان الطهارة الظاهرة

1- صحيح البخاري.

2- صحيح ابن حبان، عن عبد الله بن عمر.

والباطنة ومبتدؤها. وإن التربية عليه لهي أهم مقدمات الطريق إلى الله تعالى، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، و إنه لمن أهم ما يعرفنا به المحبوب الكريم صلى الله عليه وسلم.

تمام الطهور مع تمام الأعمال الظاهرة الباطنة وكماله، يحيل عبادة الصلاة كائنا حيا ينادي كل خاشع حافظ على الركوع والسجود والتلاوة والدعاء، نداء قبول وامتنان:

حفظك الله كما حفظتني

حفظك الله كما حفظتني

سبحان الله! هديةُ ليلةِ المعراج تتحول إلى ضَيف على جوارحِ العبد وقلبهِ، ويصيرُ لها لساناً تتحدث به، وتمتلك قدرة وصفِ العبدِ لكمالِها أو نقصِها إذا خرجَت من كسبِه، لتصير لسجِلّه وتُطوى إلى يومِ القيامةِ.

نقرأ قوله تعالى:(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) سورة المومنون.

فنجد أن الفلاح مكافأةٌ لعمل متكاملٍ للقلبِ فيه مكانَ الروح من الجسد، لكنه لنْ يكون أبداً عملا بدون إسهامِ الجوارحِ تلك المساهمة الأساسية.1

فحركةُ الوضوء والطهارةِ، وحركة القيامِ والقعودِ، وحركة الركوعِ والسجودِ... في كلِّ ذلك تنبعث الحياةُ، وتستقيمُ صالحةً للشهادة للعبد أو عليه وَفُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَإِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْعَبْدُ الْوُضُوءَ، وَلَمْ يُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَالْقِرَاءَةَ فِيهَا، قَالَتْ: ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي، ثُمَّ أُصْعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَعَلَيْهَا2.

1- عبد السلام ياسين، الإحسان 1/ 113.

2- «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاةِ

اللَّهمَّ اجعل صلواتِنا وجميعَ أعمالنا حيةً بنورٍ من فضلك تُسكنه قلوبَنا، فإن إقامة الصلاة حقَّ الإقامة عسيرةٌ إلا على من أكرمته بالخشوع، وملأت قلبه بيقين لقائك، يا رحمن! قلتَ، جوقولك الحق **(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)** سورة البقرة آية 44 .

الخشوع ! وما أدراك ما الخشوع !

إنه سكون القلب للمولى الكريم،

فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَالْقِرَاءَةَ فِيهَا، قَالَتْ: حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي، ثُمَّ أُصْعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَلَهَا ضَوْءٌ وَنُورٌ، ظُلْمَةٌ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا» رواه الطيالسي، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وفيه الأحوص بن حكيم وثقه ابن المديني والعجلى وضعفه جماعة وبقية رجاله موثقون.

ولين الجوارح لعظمته...

إنه أول علم يُختلَس من النَّاس؛ الصَّلاةُ آخرُ عروةٍ تُنتقضُ، والخُشوعُ أولُ علمٍ يمْضِي، عَنْ سيدنا أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ» قَالَ : فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ؟ فَوَالله لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنِّي كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ

الْمَدِينَةِ، هَذَا التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَمَاذَا يُغْنِي عَنْهُمْ؟ قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ، قَالَ: صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِنْ شِئْتَ لَأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ: الْخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا» 1

الناس في المسجد، والصلاة قائمة،

1- رواه الترمذي رحمه الله تعالى. كتاب العلم. باب ما جاء في ذهاب العلم. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.
وقال صاحب تحفة الأحوذي:» ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث ولا نعلم أحدا تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان وقد روي عن معاوية بن صالح نحو هذا وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم.»

والقرآن يتلى، وأين الخشوع؟ أين الروح؟ أين العلم؟، قال ابن القيم رحمه الله:

«والناس في الصلاة على مراتبَ:

أحدها: مرتبة الظالِم لنفسِه المفرِّط، وهو الذي انتقَص مِن وضوئِها، ومواقيتِها، وحدودها، وأركانها.

الثاني : مَن يحافظ على مواقيتِها، وحدودِها، وأركانها الظاهرة، ووضوئِها، لكن قَدْ ضَيَّعَ مجاهَدَةَ نفسِه في الوسوسة، فذَهَبَ مع الوساوس والأفكار.

الثالث: مَن حافَظَ على حدودها وأركانها، وجاهَدَ نفسَه في دفع الوساوس

والأفكار، فهو مشغول بمجاهَدة عَدوِّه؛ لئلا يَسْرق صلاتَه، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: مَن إذا قام إلى الصلاة أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وأَرْكَانَهَا وحُدُودَهَا، واسْتَغْرَقَ قلبَه مُراعاةُ حُدودِها؛ لِئلا يُضيّع شيئًا منها؛ بل همُّه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبَه شأنُ الصلاة وعبوديةُ ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: مَن إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا، قد أخذ قلبَه ووضعه بين يدي ربه عزَّ وجلَّ، ناظِراً بقلبه إليه، مُراقِبًا له، مُمْتَلِئًا

مِن مَحَبَّته وعظَمَتِه؛ كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلَّتْ تلك الوساوسُ والخطرات، وارتفعَت حُجُبُهَا بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضلُ وأعظمُ مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغولٌ بربِّه عَزَّ وجَلَّ.

فالقِسم الأول مُعاقَبٌ، والثاني محاسَب، والثالث مُكَفَّرٌ عَنْهُ، والرابع مُثَابٌ، والخامس مُقَرَّبٌ مِن رَبِّهِ؛ لأن له نصيباً ممن جُعلَتْ قرةُ عينِه في الصلاة، فَمَن قَرَّتْ عينُه بصلاته في الدنيا، قَرَّتْ عينُه بقُربِه مِن ربِّه عز وجل في الآخرة، وقَرَّت عينُه أيضًا به في الدنيا، ومَن قرَّت

عينُه بالله، قرتْ به كلُّ عينٍ، ومَن لم تقرَّ عينُه بالله تعالى تَقَطَّعَتْ نفسُه على الدنيا حسرات».1

اللّهم صلِّ وسلم وبارك على من جُعلت قرة عينه في الصلاة، ومن علم صحبه الكرام علم الخشوع وورثهم إياه، قال التابعي الجليل، محمد بن واسع (ت: 123هـ):«ما بقي في الدنيا شيء ألَذُّ به إلا الصلاة جماعةً، ولقاء الإخوان»2، وقال الإمام ابن المنكدر: «ما بقي من لذَّات الدُّنيا إلا ثلاثُ: قيام الليل، ولقاء

1- ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى، الوابل الصيب من الكلم الطيب، 34و35.

2- أحمد بن حنبل، الزهد، 254، ابن نعيم، حلية الأولياء، 6/ 291.

الإخوان، والصلاةُ في الجماعة»1.

وأول ذلك قطرات الوضوء

قطرات الوضوء رحمات المغفرة

1- الغزالي، إحياء علوم الدين،2/ 564 .

قطرات الوضوء ... رحمات المغفرة

إنها الصلاة يا ابنَ الأكرمين عِمادُ، إنها هدية المولى للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ولأمته بعده، ولا يستقيم الاحتفاء بالهدية المولوية إلا بالاحتفاء بمقدماتها. ومقدمتها الطهور والوضوء، إذ لا صلاة لمن لا وضوء له[1].

التطهر للصلاة من أقرب القربات وأفضلها، حركاتُ الوضوء وقطراتُ مائه

1- هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في التسمية عند الوضوء، برقم 25، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في التسمية عند الوضوء، برقم 392.

ما هي طهارة حسيةٌ فحسب، وتنظيفٌ للثوب والبدن وكفى.

التطهر للصلاة استعدادٌ قلبيٌ روحيٌ بأداءاتٍ بدنيَّة يسيرة، بها التَّعرف على سيد المتوضئين وإمام المصلين صلى الله عليه وسلم.

ما يستحضر قيمة قطراتِ الطهر وحركاتِ الوضوء إلا من رجا مغفرةَ الله، ورحمة الله، وفضل الله. عنْ سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعبْدُ الْمُسْلِم، أَو الْمُؤْمِنُ فَغَسلَ وجْهه خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نظر إِلَيْهَا بعينهِ مَعَ الْماءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ

الْماءِ، فَإِذَا غَسَلَ يديهِ خَرجَ مِنْ يديْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بطشَتْهَا يداهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْماءِ، فَإِذَا غسلَ رِجليْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مشَتْها رِجْلاهُ مَعَ الْماءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِياً مِنَ الذُّنُوبِ» 1

فغَسَلَ وجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خطِيئةٍ نظر إِلَيْهَا بعينهِ مَعَ الْماءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْماءِ:

الوجه عنوان شرف الآدمي، والوجه مستقبَلٌ (ما يستقبله بوجهه) في

1- أخرجه مسلم، كتاب الطهارة - باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء.

الأمر كله، فإذا رفع الماء بكفيه إلى وجهه غاسلا متطهرا، محا الله تعالى بقطرات الماء ذنوب العين، تلك العين التي تحمل رسائل المبصَرات إلى القلب، فيكون قد امتلأ مما رأى من أحوال الخلق مما يستثير في القلب أمراضا وضغائن، وفتنا ومنغصات، حتى إذا سكب الماء عليها يطيبها ويطهرها من كل ذنب...فتستأنف النظر بطهر وصفاء.

فَإِذَا غَسَلَ يديهِ خَرَجَ مِنْ يديْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بطشتْهَا يداهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ:

اليدان آلة الكد والكسب، وعنوان العمل والاجتهاد، ووسيلة العمل

والإجاز، وبادرة البذل والعطاء، ومصدر البطش والاعتداء، كما هي لمسة الحب والحنان، والرأفة والامتنان.

والعبد المومن بين الوضوءين عامل مشتغل، تتحرك يده بنية ما في قلبه وضميره، وتسعى بحسب ما في الباطن من قصود وغايات، الكسب الكسب، والجنّي الجنّي، يخالط الحلال الحرام وال «ما بينهما» فيتغير القلب وتنكت فيه النكت البيضاء كما السوداء، حتى إذا أقبل على الماء مُسبغا وضُوءه، ومر الكف على الكف، وعلى الذراع مسحت الذنوب، ما لم تكن حقوقا للعباد، وتجددت الأوبة

والتوبة، والرجوع والإنابة فمغفرة الله واسعة وشوق الرسول صلى الله عليه وسلم لإخوانه متقدة.

فَإِذا غسلَ رِجليْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيْئَةٍ مشَتْها رِجْلاهُ مع الْماءِ أَوْ مع آخِرِ قَطْرِ الْماءِ:

رمزُ المشي والسير، وسبيل الصعود والترقي القدمان، طوبى لمن كان سيرُه إلى طاعة وقربى، وصعودُه إلى فضل وزلفى، ومشيُه بين الناس بنور الهُدى والتُّقى:

(أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا. كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) 1.

يمشي وسط المجتمع مبشِّرا ومعلماً، وحانيا ومشجعاً، ومرشدا ومعيناً.

هذا وإن القدمَ موطنُ الزلل والخلل الذي يضيع الطريق، ومبعثُ الزيغ الذي يغير السبيل، ومظنة التعب والعياء الذي يوقف السير والسلوك.

وإن الوضوءَ بقطرات مائه النقية لَتغسلَ ذلك وتجدِّد الهمةَ، وتخفِّف الخطوات وتطْوي المراحل. إكمال وضوؤك هذا بغسل القدمين تجديدٌ للمسير، إذ تترك الأثقال على البسيطة تلتهمها الأرض

1- الأنعام/122.

وتمحوها المغفرة.

اِغسل القدم وقلبُك معلق بالمسجد للمثول بين يدي المولى الجليل، اِغسل الرجل والقدمَ تخِف طاقتُك فتغدو بعد الصلاة منطلقا في رحاب الذين تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، اِغسل وانهض جديدا متجددا، عاليَ الهمة نشيط الحركة، صافيَ السريرة وافرَ البركة، محصَّنا منيعاً.

خرجت من الوضوء نقيا من الذنب الذي اقترفت قبلُ، فرُدَّ الحقوق إلى أهلها تستكمل الطُّهر والطهارة، أخلِص الدعاء لمن اغتبتَ بلسانك، أو نظرتَ إليه بعين

النَّقص والازدراء، أو مددت إليه يدَك بظُلم أو اعتداء...

لا تكتمل الطهارة من الذنوب إلا بأداء الحقُوق وحفظ الأمانات، والوفاءِ بالعهود، والصدق في النية والعمل.

حَتَّى يَخْرُجَ نقِياً مِنَ الذُّنُوبِ

وضوء كهذا مطهرة وأي مطهرة !
فتكون الركعات زيادةُ فضل، ويكون السجودُ رِفعة ومَددا، وتكون الصلاة مرقاة ونافلة، ومعراجا يصلُك بالمعراج النبوي من حيث جاءت الهدية الربانية للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ولأمته

المرحومة بقية الله من مواكب المصلين، أمة حي على الفلاح، أمة كثرة الخطا إلى المساجد.

حي على الفلاح.. أرحنا بها يا بلا ل

حي على الفلاح..أرحنا بها يا بلال

«أرحنا بها يا بلال[1]!» ...الاسم اسم ثبات، والنداء نداء شموخ.

«بلال!» العبد الحر، الشامخ الثابت،

1- كنيته أبو عبد الله، منة الحبشة، كان مولىً لأبي بكرٍ، من أول سبعةٍ أظهروا الإسلام، تحمل، بعد إسلامه، تعذيباً أليما وظلماً شديداً من سيّده أميّة بن خلف، بقي صابراً محتسباً، ثابتا شامخا، لسانه لاهج ب:» أحدٌ أحدٌ»، اشتراه أبوبكر وأعتقه. لوجه الله تعالى، وقد شهد بلال -رضي الله عنه- المشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. بشّره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالجنّة، حيث قال: (يا بلالُ، حدِّثْني بأَرْجَى عملٍ عَمِلْتَهُ في الإسلامِ، فإنِّي سمعتُ دُفَّ نعليْكَ بينَ يديَّ في الجنةِ، قال: ما عملتُ عملاً أَرْجَى عندي: أنِّي لم أَتَطَهَّرَ طَهوراً، في ساعةِ ليلٍ أو نهارٍ، إلّا صلَّيتُ بذلكَ الطَّهورِ ما كُتِبَ لي أن أُصلِّي).

توفّي رضي الله عنه سنة عشرين للهجرة، ودُفن عند الباب الصغير، في مقبرة دمشق عن عمر بضعٍ وستين سنةً.

يفوز بشرف النداء للصَّلاة، وتاج الدعوة للفلاح.

«بلال! «سيِّدُ المؤذنين، سيدُ مَن شرَّفهم الله تعالى بطول أعناقهم يوم القيامة، تشوُّقاً إلى رحمة الله تعالى وفضله، عَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» 1

1- رواه مسلم، قال النووي:» أَعْنَاقاً «: هو بفتح همزة أعناقاً جمع عنق، واختلف السلف والخلف في معناه، فقيل معناه: أكثر الناس تشوفاً إلى رحمة الله تعالى؛ لأن المتشوف يطيل عنقه إلى ما يتطلع إليه... وقال النضر بن شميل:» إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق. وقال ابن الأعرابي:» معناه أكثر الناس أعمالاً» وقال القاضي عياض وغيره: «ورواه بعضهم (إعناقاً) بكسر الهمزة أي

هذا بلال الصوت الأول الذي نادى للصلاة، نادى للقاء بالله رب العالمين، في حياته عِبْرَةٌ لكل مؤذن، ودرسٌ بليغٌ لكل مَنْ يُريد أن يكون ذا شأن في الآخرة، مع الذي يتشوفون ويفرحون بما يرون من فضل الله تعالى.

نعم قارئي العزيز!

عطِّرْ صوتك بالأذان كلما سنحتِ الفُرصة، وسمِّع أبناءَك مرَّة بعد مرةٍ صوت نداء المفلحين.

واستمع لمنادي الفلاح بأذنك،

إسراعاً إلى الجنة، وهو سير العنق» شرح النووي لمسلم 4/ 313.

وأنصت له بقلبك، وهو يردد الأذان: الله أكبر ...الله أكبر...

لحظة خشوع في بيوت السكينة، ومنازل المودة والرحمة، حين تجتمع الأسرة على ترداد الأذان مع المؤذن، عَنْ عبْدِ اللهِ بْنِ عَمرِو بْنِ العاصِ رضِيَ الله عنْهُما أَنه سَمِع رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقُولُ: «إِذا سمِعتُمُ النّداءَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا علَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عشْراً، ثُمَّ سلُوا الله لي الْوسِيلَةَ، فَإِنَّهَا منزِلَةٌ في الجَنَّة لا تَنْبَغِي إِلاَّ لعَبْدٍ منْ عِباد الله وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُو ، فَمَنْ سَأَلَ لي الْوسِيلَةَ حَلَّتْ

لَهُ الشَّفَاعَةُ »1 ، ومن صيغة هذا الدعاء:«
وأنا اشهد أن لا اله الا اللهُ وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، رضيتُ بالله ربّاً وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا .اللهم ربَّ هذه الدعوة التامَّة، والصَّلاة القائمة، آت سيدنا محمَّداً الوسيلة والفضيلةَ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته»2.

وعَنْ سيدنا عبْدِ اللهِ بْنِ عَمرِو بْنِ العاصِ رضِيَ اللهُ عنْهُما أَنه سَمِع رسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ علَيْهِ وسَلَّم يقُولُ:« إِذا سمِعتُمُ النّداءَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا علَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صلَّى علَيَّ صَلاةً صَلَّى الله علَيْهِ

1- رواه مسلم في كتاب الصلاة.

2- نفسه

بِهَا عشْراً، ثُمَّ سلُوا اللهَ لي الْوسِيلَةَ، فَإِنَّها مَنزِلَةٌ في الجَنَّة لا تَنْبَغِي إِلاَّ لعبْد من عِباد الله وأَرْجو أَنْ أَكُونَ أَنَا هو، فَمَنْ سَأَل لي الْوسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفاعَةُ »1

وَعنْ جابرٍ رضي الله عنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ: «من قَال حِين يسْمعُ النِّداءَ: اللهُمَّ رَبَّ هذه الدَّعوةِ التَّامَّة، والصَّلاةِ الْقَائمة، آت مُحَمَّداً الْوسِيلَةَ، والْفَضِيلَةَ، وابْعثْهُ مقَاما مَحْموداً الَّذي وعَدْتَه، حلَّتْ لَهُ شَفَاعتي يومْ الْقِيامِة »2 .

1- نفسه

2- رواه البخاري كتاب الصلاة، باب الأذان.

ها قد انتهى الإنصات السمعي والإصغاء والقلبي لعبارات الأذان ترتفع في السماء وتعلو، وتشرئب معها الأعناق إلى ما عند الله تعالى، ثم ترفع أكف الضراعة، ثم تنحني الهامة لعظمة الله تعالى وتدرك تمام الإدراك أن ما بين الأذان والإقامة لحظات استجابة الدعاء، ففي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة فادعوا» 1.

اللهم استجب دعواتنا، وحقق رجاءنا وبلغ مقصودنا...آمين.

1- رواه الترمذي وأبو داود و أحمد، واللفظ له.

هنا تسري الإرادة الإيمانية في القدمين المتوضئتين لتنهضا حاملة الجسد المؤمن إلى بيت الله، حيث يكرم الكريم ضيفه، ويرحب به أيما ترحيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تطهر في بيته، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته، إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»1، وعن بريدةرضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام

1- رواه مسلم، كتاب الصلاة.

يوم القيامة»1 .

ها هي الخطوات تقرب من بيت الكريم المنان، وتذكر بسيد ولد عدنان، سيد المرسلين، فتخطو القدم اليمنى متقدمة لباب المسجد، واللسان يقول والقلب حاضر: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»2.

1- رواه أبو داود والترمذي.

2- الجامع الصغير السيوطي، وهو حديث حسن وله شواهد كثيرة.

بهذا الدعاء، تجد نفسك، أيها المؤمن، أيتها المؤمنة في بيت الله الكريم، فبعد ركعتي تحية المسجد تتداعى الأعضاء للقيام لرب العالمين، حين تعلن تكبيرة الإحرام وترفع الحجب بين العبد وربه.

الله أكبر.. فاتحة الكتاب

الله أكبر ...فاتحة الكتاب

الله أكبر...

تلك التي افتتح بها المؤذن نداءه الهادي، ليقول للناس: «هلمُّوا للفلاح... هلموا للوقوف بين بيدي الله عز وجل، هي نفسها التي يرفع بها الإمام صوته وهو متوجه إلى القبلة، والناس من ورائه صفا مرصوصا، والناس في المساجد صفوفٌ، مع عامة المسلمين، الغني جنبا إلى جنب مع الفقير، الكبير بمحاذاة الصغير...

الله أكبر...

من كل شيء، لا يكبره شيء،

الكل يخضع لعظمته، والمصلي يستسلم طوعا واختيارا ليستلهم منه العون والحول والقوة، فيعلن الوقوف بين يدي الكريم الكبير سبحانه، عن سيدنا أَنَسِ بْنِ مَالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنْ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنْ النِّفَاقِ».1

1- ورد في فضل إدراك تكبيرة الإحرام أحاديث أخرى مرفوعة ولكنها لا تخلو من مقال. ينظر: «مجمع الزوائد» (2/123)، «التلخيص الحبير» (2 /27).

وأما الآثار عن السلف في الحرص على إدراك تكبيرة الإحرام فكثيرة جداً، قال ابن حجر: « وَالْمَنْقُولُ عَنْ السَّلَفِ فِي فَضْلِ التَّكْبِيرَةِ الْأُولَى آثَارٌ كَثِيرَةٌ ». «التلخيص الحبير» (2 /131).

الله أكبر....

هي تكبيرة الإحرام، وكأني بالمصلي يُحرم كما يُحرم الحاج بلبسه الإحرام، فتحرم عليه أشياء كانت له مباحة، ويدخل في حُرمة حضْرة ربَّانية، ويفتح بينه وبين ربه، فحري به ألا يلَتفت عن محبوبه في الصلاة، أخرج الترمذي رحمه الله تعالى من حديث الحارث الأشعري: «إن الله أمركم بالصلاة، فإذا صلَّيتُم فلا تلتفَتِوا، فإن الله ينصِبُ وجهه لوجهِ عبده في صلاته ما لم يلتفت»، و عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الله مُقبِلًا على العبد

في صلاته ما لم يلتَفِت، فإذا صرف وجهَه انصرف عنه»1، قال ابن القيم رحمه الله: «قد روي أن العبد إذا قام يصلي قال الله عز وجل: «ارفعوا الحجب بيني وبين عبدي»، فإذا التفت قال: «أرخوها»، وقد فسر هذا الالتفات بالتفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره، فإذا التفت إلى غيره، أرخي الحجاب بينه وبين العبد، فدخل الشيطان، وعرض عليه أمور الدنيا...» 2.

1- رواه أحمد، والنسائي، وأبو داود، رحمهم الله تعالى

2- الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان: أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى. الثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه، ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره، أعرض الله تعالى عنه» ينظر الوابل الصيب من الكلم الطيب.

الله أكبر...

ها هو العبد المؤمن، والأمة المؤمنة، ينتصِب قائماً بجسده المطيع للصلاة، وقد جاءها مُطهَّرا من ذنوبه بقطرات الوضوء المنيرة، وهو الآن حاضرٌ بِقلبِه وشفتيه ولسانه ليتلو أعظم ما أُنزل على أعظم من بُعث صلى الله عليه وسلم.

الآن... يطمع أكثر في مزيدِ تطهير المولى سبحانه، فيستفتح بدعاءِ الاستفتاحِ المأثور قائلا:» سُبحانكَ اللهمَّ وبحمدِكَ، وتباركَ اسمُكَ وتعالى جدُّكَ، ولا إلهَ غيرُكَ« أو يقول:» اللهُمَّ باعِد بَيني وبينَ خطايايَ كما باعَدتَ بينَ المشرقِ والمغرِبِ،

اللهمَّ نقِّني من خَطاياي كَما ينقى الثَّوبِ الأبيضِ من الدَّنسِ، اللهمَّ اغْسِلني من خطاياي بالماءِ والثَّلجِ والبردِ»1.

الآن... وقد وجه العبد قلبَه لرب المسجد الحرام، ووجه وجهه شطر المسجد الحرام: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي

1- ورد في صيغ دعاء الاستفتاح عبارات متعددة منها «وجَّهتُ وجهي للذي فطر السماواتِ والأرضِ حنيفًا وما أنا من المشركين. إنَّ صلاتي ونسُكي ومحيايَ ومماتي لله ربِّ العالمين لا شريك له وبذلك أُمِرتُ وأنا من المسلمِين» و» اللهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وإسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بيْنَ عِبَادِكَ فِيما كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بإذْنِكَ، إنَّكَ تَهْدِي مَن تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ينظر في ذلك صحيح البخاري مسلم، وسنن ابن ماجة.

وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)
البقرة150

الآن...وقد ارتفعت الحجب بين العبد وبين ربه عزّ وجل، يتلو أمَّ الكتاب مناجاةً لله تعالى.

الآن... وقد زاد المؤمن طهارة ونقاءً، يتلو سورةَ الفاتحةِ1 السبع المثاني

1- ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى قال:» كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: «استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» ثم قال لي: لأعلِّمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال :»الحمد لله رب العالمين» هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته. وعن سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى

في حوار رائعٍ ماتعٍ بين العبد وربِّه، بمجامع الحمد له عزَّ وجل وحسن الثناء عليه، وجميل تمجيده سبحانه.

(الحمد لله رب العالمين) ... «حمدني عبدي»

(الرحمن الرحيم) .... «أثنى علي عبدي»

(مالك يوم الدين)... «مجدني عبدي»، أو «فوض إلي عبدي».

الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه أي صوتاً كصوت الباب إذا فتح، فرفع رأسه فقال:» هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملَك فقال: هذا ملَك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعْطِيتَه) رواه مسلم

الآن... يرجو المصلي أن يخَلِّص
العبادة للمولى العظيم، ويمحِّضَ العون من
المولى الكريم

(إياك نعبد وإياك نستعين)...
«هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل .

الآن... يرجو الهداية والاستقامة
على طريق سيد المصحوبين صلى الله عليه
وسلم، من كانت قرة عينه في الصلاة،
وسيد من مدح الله تعالى المعية معهم من
النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين،
ومن سادة مواكب المصلين بعده أبي بكر
وعمر الفاروق، و عثمان ذي النورين،
و علي كرم الله وجهه، وكل محافظ على

عماد الدين.

(اهدِنا الصِّراط المستقيمِ، صراطَ الذين أنعمت عليهم، غير المغْضُوب عليهم ولا الضَّالين) قال: « هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»1

ثم يأذن المولى في قراءة ما تيسر

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله تعالى : (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى علي عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدني عبدي ، وقال مرة : فوض إلي عبدي ، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) وفي رواية : (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ونصفها لعبدي) رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة .

من كلامه تعبداً وتحصيناً واستشفاءً **(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)** الإسراء 82.

ندخل الصلاة قائمين، ونقف تالين متخشعين. ثم تأتي اللحظة الأولى من لحظات الانكسار بين يدي؛ لحظة الركوع ومعاني الحمد والثناء، ثم تنتقل إلى:

الركوع والسجود راحة العابدين

الركوع والسجود...راحة العابدين

الركوع صورة من صور التذلل بين يدي العظيم سبحانه، الانحناء بالظهر لله تعالى، والظهر به يكون قيام العبد وقعوده، وحركاته وسعيه في الدنيا لقضاء المآرب والحاجات. ومن ثمرته تعلم التواضع لعظمة الله تعالى، والانكسار أمام عظمة الله تعالى وكبريائه، وسلطانه وملكوته. لذلك نسبح الله تعالى حينها بصفة التعظيم، (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) أو خمسا أو ما تيسر من الأدعية

المأثورة في الركوع1، ما أحلى الانحناء أمام الكريم الوهاب !

1- رواه ابن ماجة رحمه الله عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه، ولفظه «إِذَا رَكَعَ قال: **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**» وقد ورد في أدعية الركوع ألفاظ.

ومنها عن سيدتنا عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِه: **سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**» رواه مسلم. (**سبُّوح:** المُبَرَّأ من النقائص والشريك، وكل ما لا يليق بالإلهية ـ **قدوس:** المُطهر من كل ما لا يليق بالخالق)

ومنها عن سيدنا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَكَعَ، قَالَ: « **اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي**» رواه مسلم.

ومنها عن سيدنا عوْفَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: « قُمْتُ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَلَمَّا رَكَعَ مَكَثَ قَدْرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: **سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ** «. رواه النسائي.

(اللَّهم لكَ ركعتُ، وبك آمنت،
ولك أسلمت، خشع لك سمْعي وبصَري
ومُخِّي وعظْمي وعصَبي)

ومعلوم أن من تواضع لله رفعه،
فكأني بالحق سبحانه لما علم من العبد هذا
التواضع أذن له في الرفع من الركوع،
مستمرا في عبارات الحمد والثناء: «سمع الله
لمَن حمِده» يسمعها من الإمام، ثم يقول
بعده « رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْء السَّمَاوَاتِ
وَالأَرْضِ، وَمِلْء مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بعْدُ،
أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ،
وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لا مَانعَ لِمَا أَعْطَيْتَ،
وَلا مُعْطِيَ لِمَا منَعْتَ، وَلا ينْفَعُ ذَا الجَدِّ

مِنْكَ الْجَدُّ»1 .

وهنا تتجلى معاني الحمد الكثير، والثناء الجميل اللذين يملآن قلب المؤمن الذي يعجز عن أداء شكر النعم الكثيرة (**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا**) النحل/ 18.

كيف لا ! والتسبيح بحمده يملأ ما بين السماوات والأرض «والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تَملآنِ ما بين السماءِ والأرضِ» 2 ، فكأني بالمصلي

1- رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله

2- لفظ الحديث :» الطُّهورُ شطْرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تَملآنِ ما بين السماءِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ، والصدَقةُ بُرهانٌ، والصبْرُ ضِياءٌ، والقُرآنُ حُجَّةٌ لكَ أوْ عليكَ، كلُّ الناسِ يَغدُو ، فبائِعٌ نفسَهُ ، فمُعتِقُها أوْ مُوبِقُها»

لم يعد يقدر على الوقوف محمولا على قدميه، فيخر ساجدا أمام العظيم الكريم.

وفي السجود معاني أخرى متجددة للقلب المؤمن في المثول بين يدي ربه جل وعلا: (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)

في السجود يضع العبدُ وجهَه، عنوان شرفه، على الأرض خُضوعا لله تبارك وتعالى، ويتضرَّع بلسان الحال

رواه مسلم.

والمقال، امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ، وهو ساجِدٌ، فأكْثِرُوا الدُّعاء» 1.

هنا يسجد العبد على سبعة أعضاء،

عن سيدنا ابن عباس -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: « أُمِرْتُ أنْ أسْجُدَ علَى سَبْعَةِ أعْظُمٍ، علَى الجَبْهَةِ، وأَشَارَ بيَدِهِ علَى أنْفِهِ، واليَدَيْنِ، والرُّكْبَتَيْنِ، وأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ» 2

ويستحب أن يسأل العبد مجامع الخير، أن يكون من أولياء الله تعالى

1- رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

2- رواه البخاري رحمه الله تعالى.

الطالبين رضى الله تعالى، الحافظين لكتابه، الداعين لدينه وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولا ضير أن يطلب ما يحتاجه في معاشه ومعاده مما يرضى به ويرضي به ربه تعالى، بل ويستحضر نعمة تسوية خلقه وتكريم المولى له: «**اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**»[1]

ثم يجلس بين السجدتين، وكأنه لا يملك الاستطاعة على القيام على

1- رواه مسلم رحمه الله تعالى

قدميه للصلاة مرة أخرى، إلا بعون منه سبحانه، لذلك يسأله ذلك بصيغة المتكلّم المفرد لينعم بركعة ثانية، فيقول: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، وَارْفَعْنِي» 1 .

وهكذا يمن الله تعالى على العبد بالركعة الثانية، إن كانت الصلاة ثنائية، أو ثالثة إن كانت ثلاثية، أو رابعة إن كانت رباعية، بحسب أحكامها من الجهرية والسرية كما هو فيما بينه الفقهاء رحمهم الله تعالى.

يدخل المؤمن الصلاة قائما ويخرج

1- سنن الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه رحمهم الله جميعا.

منها جالسا في جلسة التشهد الأخير، ويصل أول الصلاة بآخرها، وليكون مع مواكب الصالحين.

التشهد ... مع مواكب الصالحين.

مع مواكب الصالحين

بعد الانتهاء من أعمال الصلاة، ركوعا وسجودا، وقياما وقعودا، وأقوالها تلاوة وتدبرا، وتسبيحا وتحميدا، نجلس جلسة التشهد الأخير للتحية والسلام.

وهيئة الجلوس التورك لا الافتراش1 الذي يكون في التحية الوسطى. أما ألفاظه فعن سيدنا عبد

1- جلسة الافتراش: أن ينصب قدمه اليمنى قائمة على أطراف الأصابع بحيث تكون متوجهة نحو القبلة، ويفرش رجله اليسرى بحيث يلي ظهرها الأرض، جالساً على بطنها، ويسن في سائر جلسات الصلاة، عدا الجلوس للتشهد الأخير، فإنه يطلب فيه التورك، لحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه في وصف صلاته صلى الله عليه وسلم: « فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى «رواه البخاري رحمه الله تعالى.

الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهّد، وكفّي بين كفّيه كما يعلمني السّورة من القرآن: «التحيّات لله والصّلوات والطيبات، السّلام عليك أيها النّبي ورحمة الله و بركاته، السّلام علينا، وعلى عباد الله الصّالحين، فإنّه إذا قال ذلك أصاب كلّ عبد صالح في السّماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله» 1

سبحان الله ! نفس المعاني التي

1- رواه البخاري رحمه الله تعالى. وقال أبو بكر البزار : هو أصح حديث في التشهد ، قال : وقد روي من نيف وعشرين طريقاً ، وممن جزم بذلك : البغوي في « شرح السنة ».

وردت في فاتحة الكتاب عند بداية الصلاة، تتكرر في التشهد لحكم جليلة الله وحده يعلمها.

التحيّات لله والصّلوات والطيبات

التحية هي التعظيم والتنزيه عن كل نقص، وكل أنواع التحيات والكمالات له سبحانه، كما في الفاتحة من حمد وتمجيد وثناء

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

السّلام عليك أيها النبي ورحمة الله

وبركاته.

السلام على سيد المصحوبين، سيد المنعم عليهم، كما في قوله تعالى:(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)

السّلام علينا، وعلى عباد الله الصّالحين.

إعلانُ الانخراط في موكب الصالحين، المحافظين على الصلوات، ومد صلات الوصل مع مواكب الصالحين في الأرض والسماء، السابقين واللاحقين «فإنَّكُم إذا فعلتُم ذلك فقد سلَّمْتُم على كلِّ

عبدٍ لله صالحٍ في السَّماء والأرض)[1].

هذه رابطة قلبية بين مواكب المصلين، الذين ملأوا الأرض بالطاعات والقربات منذ الأزل، وهي مستمرة إلى يوم القيامة، أجيال من الصالحين، يدعو بعضهم لبعض (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) الحشر 10 .

وقد من الله تعالى على الأمة الخاتمة من المصلين بأن جعلت لهم الأرض

1- رواه ابن حبان قال: هذا صحيح على شرطهما.

مسجدا وطهورا: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأَيُّمَا رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وكَانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»1.

ثم يسلم العبد المؤمن والأمة المؤمنة، راجعا من الصلاة إلى معاشه، مستحضرا أن رجوعه هذا، ما هو إلا انتظار قلبي لصلاة جديدة حتى يلقى الله تعالى، ما هو إلا رجوع للناس يدعو برفق

1- أخرجه البخاري ومسلم رحمهما الله، واللفظ للبخاري.

ورحمة إلى سبيل المصلين الذين تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، وترفع ذكر الله سبحانه وتعالى: (**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**) العنكبوت 45

اللهم هذه ليلة ذكرى الإسراء والمعراج، وفقت فيها لإتمام هذا العمل المتواضع لبعض معاني إقامة الصلاة، عمل المُقِلّ الضعيف.

اللهم واجعله خالصاً لوجهك الكريم، وانفعنا به، وانفع به غيرنا من أمة سيدنا محمد إمام المصلين الخاشعين،

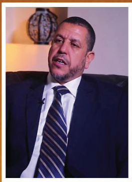
والقائمين المتبتلين، يا أرحم الراحمين.

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى
وإلى دعائكم

عبدالصمد بن محمد الرضى

ليلة السابع والعشرين من رجب
لسنة 1441هـ ،

ذكرى الإسراء والمعراج.



د.عبد الصمد الرضى

هذا كتاب تدبري لشعيرة الصلاة، عمادِ الدين، يروم تحقيق عدة أهداف تربوية تعليمية تدبُّرية لهذا الركن العظيم:

1. بيان ارتباط هذه الشعيرة بوجود الإنسان على هذه الأرض، منذ التوبة الأولى لأبينا آدم عليه السلام.

2. تتبع أعمال الصلاة، وتدبرها بما يساعد على الحضور القلبي أثناء أدائها.

3. إيقاظ أهميتها في القلوب رجاء أن نُعيد إبرام عروتها، في اتجاه إعادة إبرام باقي عرى الإسلام التي انتقضت.

4. عقد الرجاء أن تكون محل تذكُّر مذاكرة بين يدي القارئ الكريم، تنفعه في نفسه وعائلته، وسائر محيطه.